المبحث الثاني
تنقية المجاميع بالغربلة

تنقية المجاميع بالغربلة

تعمل الغربلة على تنقية المجاميع من الشوائب الرديئة، فتُخرج الأفراد الحاملين للصّفات غير المرغوبة، وتُبقي الآخرين، وبذا فهي تعد وسيلة أساسية لإيجاد المجاميع النقيّة . فهي تقدم مجموعة واعية وطبقة غير مشوبة.

وللغربلة علاقة وثيقة بالبناء والتزكية، ومن موارد تلك العلاقة هو أنّ ما تُنتجه الغربلة من مجاميع نقية يعتمد في أساسه على وجود عناصرصالحة زكيّة -ضمن المجموعة المشوبة- مسبقاً، كما أنّ معرفة الافراد المؤهّلين الذين وفرّهتهم عملية البناء والتزكية يتوقف على الغربلة في كثير من الأحيان.

أولويات نقاء المجاميع

يتفاوت تأثيرالعناصر السيئة (الشوائب) من حيث:

- **نسبتهم**: اذ انّها كلما كانت اكبر، كان ضررهم وخطرهم اكثر، حتى تصل إلى حد يصبح لا مناص من الهلاك الحتمي.

-**طبيعة العمل المناط بهم**: فكلما كان العمل ذا اهمية أو حساسية اعلى كانت الأضرار الناتجة اكبر.

- **تسلسلهم القيادي**: فكلما اقترب موقع تلك الشوائب من القيادة العليا -قطب الرحى- كانت اضرارهم واخطارهم اكبر، وهناك من المواقع لها من القرب ما لا يمكن افتراض وجود شوائب فيها الا

بافتراض هلاك الجمع.

فاعليّة الآمر

هذا وان من الأمور الأساسية التي تؤدي إلى فاعلية أي رتبة في التسلسل الهرمي للقيادة هو وجود استجابة من قبل الرتبة الادنى، وهذا يلزم وجود الافراد الذين يتوفر فيهم عامل الاستجابة والطاعة للقائد .

في حين قد تؤدي زيادة نسبة الشوائب إلى أنْ تصبح الحالات الصالحة المستجيبة للقائد من القلة بحيث تؤدي إلى سقوط فعليّة القيادة، وانمحاء صفتها الواقعية بفقدان سيطرتها.

نسبة النّقاء

هذا كلّه بالنظر إلى نسبة الشوائب، وأما لو نظرنا إلى نسبة النقاء، اي:نسبة العناصر الصالحة، فأيضا تحكمها الامور السابقة – نسبة وأهمية وموقعا – ولكن بصورة عكسيّة، اضف إلى ذلك أنّ سيطرة العناصر الصالحة وزيادة نسبة النقاء في المراكز العالية يؤدي إلى زيادة نسبة النقاء في المراكز الأدنى[١]منها، إذ انّ العنصر الصالح – والذي سيكون واعياً بالمنهج الإسلامي عاملا على تطبيقه – سيكون بمنزلة

---

١) يبدأ تسلسل الحاكمية الهرمي في النظام الإسلاميّ من الله تعالى –إذ الحاكمية له بالأصالة– ثم خليفته المعصوم عليه السلام ثم ما يعينه المعصوم من نائب أو والي ثم...، وعلى أساس ذلك ففي حال غيبة المعصوم عليه السلام أسند الأمر إلى أقرب طبقة إلى المعصوم علما وعملا .

غربال[١] يشخص العناصر الأصلح ويسند اليها المواقع والمهمات التي يكون مسؤولا عليها، وهكذا يكون التسلسل الهرمي.

أمير المؤمنين (عليه السلام) وصفات مراتب الجنود:

وقد ورد عن امير المؤمنين (عليه السلام) في عهده إلى مالك الاشتر: «**فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِإِمَامِكَ وَ أَنْقَاهُمْ جَيْباً**[٢] **وَ أَفْضَلَهُمْ حِلْماً وَ أَجْمَعَهُمْ عِلْماً وَ سِيَاسَةً مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ وَ يُسْرِعُ إِلَى الْعُذْرِ[يَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ]**[٣] **وَ يَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ وَ يَنْبُو عَلَى الْأَقْوِيَاءِ مِمَّنْ لَا يُثِيرُهُ الْعُنْفُ وَ لَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ**»[٤].

وقد تعرّض صاحب منهاج البراعة لشرح هذا المقطع، وللفائدة انقل هاهنا شيئا من كلامه مع تصرف[٥]، إذ يقول: «قد تعرّض عليه السّلام في هذا الفصل لبيان ما يلزم أن يتّصف به الجنديّ من الأوصاف حتّى يستحقّ لمقام الولاية على السائرين و هذا هو من أهمّ امور النظام العسكري، و قد انشأ في هذه العصور معاهد و مدارس لتعليم النظام و تربية الضبّاط و الامراء في الجيوش و تتضمّن هذه التعليمات

---

١) ومن الغربلة أنْ يوضع شخص في موقع معين كمقدمة لكشفه أو فضحه وبيان عدم لياقته بذلك الموقع، بشرط القدرة على عزله بعدها، و حين انحصار درء خطره-الاكبر- بهذه الطريقة .

٢) يقال: فلان نقى الجيب أي أمين الصدر و القلب.

٣) هذه العبارة وردت في النهج بدل" ويسرع إلى العذر"

٤) تحف العقول، ص ١٣٢، مع تضمين ما ورد في النهج.

٥) وضعنا الزيادات بين قوسين.

تمرينات و تدريبات عسكريّة شاقّة في دورات متعدّدة ينتهي كل منها إلى امتحانات صعبة ربما قلّ الناجحون منها، [مع اهمالهم لكثير من المقومات الروحية].

[اولويّة الجانب الروحي عند الافراد]

و لكنّ الاسلام يتوجّه إلى روحيّة الجندي أكثر ممّا يتوجّه إلى تدريبه العملي، فانّ الجنديّ إنّما يواجه العدوّ و يدافع عنه بروحه و ايمانه و قوّة عقيدته أكثر ممّا يعتمد على قوّة جسمه و أعماله، فقد كان رسول اللهّ صلّى اللهّ عليه و آله يجمع المسلمين في صفوف صلاة الجماعة يعلّمهم آي القرآن و يبين لهم طريق عبادة الرحمن و يؤيّد اعتقادهم باللهّ و رسوله بالتمرين و التدريب على الاصول التعليميّة للاسلام و يتخرّج من بينهم رجال كأكبر قوّاد الجيوش في العالم يبارزون الأبطال المدرّبين في كلّيّات العسكريّة الرومانية و الفارسية فيقهرونهم و يغلبون عليهم حتّى اشتهروا في هذه العصور بالبطولة و الشجاعة، يقع الخوف في قلوب الأعداء من ذكر أسمائهم، و قد افتخر النبيّ صلّى اللهّ عليه و آله بقوله: «و نصرت بالرعب مسيرة شهر».

و هذه البطولة الفائقة تعتمد على قوّة الروح و الإيمان في القوّاد الإسلاميّين أكثر ممّا تعتمد على قوّة الجسم و التدريبات العمليّة...»[1].

ثمّ أخذ ببيان الاوصاف التي ذكرها الامام عليه السلام، فمما قاله -مع شيئ

١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (خوئى)، ج ٢٠، ص ٢٠٤-٢٠٥.

من التصرف[١]–:

« ١ – أن يكون أنصح و أطوع للهّٰ و رسوله و للامام المفترض الطاعة من سائر الافراد، فلا يألوا جهدا في تحصيل رضا اللهّٰ و رسوله و رضا إمامه مهما كلّفه من الجهد و المشقّة...

٢– أن يكون أطهر أفراد الجيش قلبا و سريرة و تجنّبا عن الفواحش والمنكرات.

٣– أن يكون أثبتهم حلما و تسلّطا على نفسه تجاه ما يثير الغضب حتّى لا يسوقه جبروت امارته على ارتكاب الشدّة بالنسبة إلى من وقعوا تحت امرته بارتكاب ما يخالف هواه كما هو مقتضى طبع الامراء و أصحاب القوّة وبسط اليد و النفوذ.

[٤]– كان مقاوما للأقوياء [فلا يمكّنهم من الظلم و التعدي]...»(٢)

١) وضعنا الزيادات بين قوسين، واشرنا للحذف بثلاث نقاط.

٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج٢٠، ص٢٠٥– ٢٠٧.

علاقة الغربلة بأتقاء الفتنة

قال الله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ (الأنفال،٢٥)

قال العلامة الطباطبائي في معرض تفسير الآية: «.. تُحذّر الآية جميع المؤمنين عن فتنة تختص بالظالمين منهم، ولا يتعداهم إلى غيرهم من الكفار والمشركين، واختصاصها بالظالمين من المؤمنين وأمر عامّتهم مع ذلك باتقائها يدل على أنها وإن كانت قائمة ببعض الجماعة لكن السيئ من أثرها يعم الجميع ثم قوله تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ (الأنفال،٢٥)، تهديد للجميع بالعقاب الشديد ولا دليل يدل على اختصاص هذا العقاب بالحياة الدنيا وكونه من العذاب الدنيوي من قبيل الاختلافات القومية وشيوع القتل والفساد وارتفاع الأمن والسلام ونحو ذلك.»[١]، وفي تفسير الأمثل ورد في تفسير الآية: «... لا يصحّ أن يقول أحد بأنني أؤدي رسالتي الإجتماعية ولا علاقة لي بالآثار السلبية الناجمة عن عدم أداء الآخرين لواجباتهم، لأنّ آثار القضايا الإجتماعية ليست فردية ولا شخصية.

وهذا الموضوع يشبه تماماً ما لو احتجنا لصد هجوم الأعداء إلى مئة ألف مقاتل، فإذا قام خمسون ألف مقاتل بأداء وظائفهم فمن اليقين أنّهم سيخسرون عند منازلتهم العدو، وهذا الانكسار سيشمل الذين

---

١) الميزان: ج٩، ص٥٠-٥١.

أدوا وظائفهم والذين تقاعسوا عن أدائها وهذه هي خصوصية المسائل الإجتماعية.»[١].

وكما هو ملاحظ في انّ التفاسير أعلاه بعضها اعطى قاعدة عامة تنطبق على مورد بحثنا، وبعضها ذكر موارد تطبيق الآية في المسائل الإجتماعية، ويبدو انّ الآية تنطبق بشكل أوضح على الحشود العسكرية، حتى اضطّر صاحب تفسير الأمثل إلى أنْ يُمثّل بالتحشيد العسكري ليقرب الصورة.

إذاً، فنحن مأمورون بأن نتّقي فتنة يُسبّبها البعض، وتؤدّي إلى خسارة الآخرين، وكما قلنا وكرّرنا بأن الخسارة هنا يجب أنْ لا تقاس وفقاً للمنظور غير الشرعي.

واتقاء الفتنة بالنسبة لهذه المجموعة الخاصّة يتمثّل في كثير من الاحيان -خصوصّا في ظروف المعارك والتي تُعتبر من أشدّ الظروف وتتّسم بكونها ذات طابع آني قد لا يسمح بالبناء والإصلاح والتربية- باستئصال مسببيها كما يستأصل العضو الفاسد (المسرطن) من البدن كي لا يَعمّ تأثيره، فيتمّ استئصال المسبب بعزلة عن هذا الجمع ومنع مشاركته ضمنه.

١) الأمثل: ج٥، ص٣٩٩.

مظاهر قرآنية في الابتلاء والغربلة

١ - قصّة طالوت:

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(البقرة ٢٤٩)

مما ذكر في قصّة طالوت ما مضمونه أنّ طالوت تسلّم قيادة جيش بني اسرائيل بعد أنْ اختاره الله سبحانه وتعالى، ثمّ طلب من بني إسرائيل أن يعدّوا العدّة لمحاربة عدوّ كان يهدّدهم من كلّ جانب.

و أنهم لما رأوا التابوت قالوا قد أتانا التابوت و هو النصر لا شك فيه، فتسارعوا إلى الجهاد فقال طالوت «مؤكدا إنه لا يريد أن يسيرمعه للقتال إلا الذين ينحصر كل تفكيرهم في الجهاد، أما الذين لهم عمارة لم تتم، أو معاملة لم تكمل، وأمثالهم، فليس لهم الاشتراك في الجهاد»(١) فجمع ثمانون ألفا على شرطه، تظهر عليه الكثرة والقوّة، وتحرّكوا صوب العدو.

وفي المسيرة الطويلة وتحت أشعة الشمس المحرقة أصابهم العطش. فأراد طالوت– بأمر من الله ونبيه أشموئيل – أن يختبرهم، فقال لهم ما

---

١) تفسير الأمثل: ج٢، صفحة : ٢١٨.

حكاه القرآن عنه: ﴿**قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ**﴾(البقرة ٢٤٩)

«ولكنّهم ما أن وقعت أنظارهم على النهر حتّى فرحوا وهرعوا إليه وشربوا منه حتّى ارتووا، إلاّ نفرٌ قليلٌ منهم ظلّوا على العهد.

أدرك طالوت أنّ أكثرية جيشه يتألّف من أُناس ضعفاء الإرادة وعديمي العهد، ما خلا بعض الأفراد المؤمنين، لذلك فقد تخلّى عن تلك الأكثرية واتّجه مع النفر المؤمن القليل خارجاً من المدينة إلى ميادين الجهاد.»[١]

ويبدو من خلال القصة انّ طالوت قد غربل أصحابه مرتين، الاولى: في طلبه أن لا يسير معه إلى القتال إلاّ الّذين ينحصر كل تفكيرهم في الجهاد، أمّا الذين يكون تفكيرهم في مشاريعهم ومستقبلهم المادي فليس لهم الاشتراك، وقد نتج من هذه الغربلة ثمانون ألفا .

و الثانية: وهي الاشد فرزاً وتصفية حادثة الابتلاء بالنهر، وقد نتج منها ثلاثمائة وثلاثة عشر-من اصل ثمانين الفاً- على ما تذكره بعض الروايات.

إهميّة النوع

ومن هنا يتبيّن لنا اهميّة التركيز على نوعية الأفراد دون عددهم، فلو كان على هذا الجيش الكبير شخص غير حكيم، لربما اعتقد بأنّ عامل العدد هو المهم في الغلبة في المعركة، ولم يكن مستعدا لان يضحي

---

١) تفسير الأمثل: ج٢، صفحة : ٢١٨-٢١٩.

باغلبية الجيش ويرفض مشاركتهم.

بينما الحق أنّ الاكثرية غير الصالحة لو دخلت إلى المعركة لغيّرت مسارها بالشكل الذي يلائمها، ولما كانت مستعدة لقبول الكثير من اوامر القيادة، كيف لا وهي لم تصبر على العطش في سبيل إطاعة القائد، فكيف تصبر على ما هو اكبر من ذلك.

على انّ العلامة الطباطبائي يرى انّ الآية تدل على اختلاف مرتبة -نوعيّة- المقبولين في هذا الاختبار الأخير، إذ لم يكونوا بمرتبة واحدة، بل كانوا على درجتين:

الدرجة الاولى: ممن لم يطعموا الماء.

والدرجة الثانية:المغترفون غرفة واحدة.

ويؤيد اختلاف المرتبة ما روي عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام «**.. قَالَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ- إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَ مَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا ثَلَاثَمِائَةٍ وَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْهُمْ مَنِ اغْتَرَفَ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَشْرَبْ فَلَمَّا بَرَزُوا قَالَ الَّذِينَ اغْتَرَفُوا- لا طاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجالُوتَ وَ جُنُودِه**[١] **وَ قَالَ الَّذِينَ لَمْ يَغْتَرِفُوا- كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**»[٢] .

والتدبّر في ذلك يعطي دلالة لأهمية التحديد الدقيق لما يلزم اجتثاثه،

١) من اللطيف ما التفت اليه أحد الأُخوة المؤمنين عند تدبره في الآية، وفحوى كلامه:« انّ من شرب الغرفة كان يتوقع أنْ ينال طاقة، ولكن ما حدث كان العكس؛ إذ قالوا لا طاقة لنا...».

٢) الكافي، ج٨، ص ٣١٦.

وما يجوز-اويلزم- بقائه ممن يمكن السيطرة على آثاره السلبيّه، حيث انّ قول هؤلاء اليائسين لم يكن بالقدر الذي يؤثر على ظفر المجموع .

كما انّه يعطي درسا بليغا عن اهمية تلك الغربلة، فإذا كان ذلك المطيع المتميز الذي لم يشرب الا غرفة واحدة بدر منه ما بدر، فماذا كان سيبدر ممن عصوا قائدهم وشربوا اكثر؟!.

ولقد جاء في رواية عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام انّه قَالَ: « **إِنَّ أَصْحَابَ طَالُوتَ ابْتُلُوا بِالنَّهَرِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى- مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ -وَ إِنَّ أَصْحَابَ الْقَائِمِ ع يُبْتَلَوْنَ بِمِثْلِ ذَلِكَ.**»[١]

٢- إذن الرسول صلى الله عليه وآله للمنافقين:

قال عزَّوجلّ: ﴿**عَفَا اللهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ * لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ * وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ * لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاء الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ**﴾(التوبة ٤٣-٤٨)

يَذكر العلامة الطباطبائي في تفسير الآية بأنّ «الآية في مقام دعوى

---

١) الغيبة للنعماني، ص ٣١٧.

ظهور كذبهم ونفاقهم وأنهم مفتضحون بأدنى امتحان يمتحنون به، ومن مناسبات هذا المقام إلقاء العتاب إلى المخاطب وتوبيخه والإنكار عليه كأنه هو الذي ستر عليهم فضائح أعمالهم وسوء سريرتهم، وهو نوع من العناية الكلامية يتبين به ظهور الأمر ووضوحه لا يراد أزيد من ذلك فهو من أقسام البيان على طريق: إياك أعني واسمعي يا جارة.

فالمراد بالكلام إظهار هذه الدعوى لا الكشف عن تقصير النبي صلى الله عليه وآله وسوء تدبيره في إحياء أمر الله، وارتكابه بذلك ذنبا - حاشاه - وأولوية عدم الإذن لهم معناها كون عدم الإذن أنسب لظهور فضيحتهم وأنهم أحق بذلك لما بهم من سوء السريرة وفساد النية لا لأنه كان أولى وأحرى في نفسه وأقرب وأمس بمصلحة الدين.

والدليل على هذا الذي ذكرنا قوله تعالى بعد ثلاث آيات: ﴿**لَوْ خَرَجُوا فيكُمْ ما زادُوكُمْ إِلاَّ خَبالاً وَ لَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَ فيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَ اللَّهُ عَليمٌ بِالظَّالِمينَ**﴾ (التوبة ٤٧)، الى آخر الآيتين فقد كان الأصلح أن يؤذن لهم في التخلف ليصان الجمع من الخبال وفساد الرأي وتفرق الكلمة، والمتعين أن يقعدوا فلا يفتنوا المؤمنين بإلقاء الخلاف بينهم والتفتين فيهم وفيهم ضعفاء الإيمان ومرضى القلوب وهم سماعون لهم يسرعون إلى المطاوعة لهم ولو لم يؤذن لهم فأظهروا الخلاف كانت الفتنة أشد والتفرق في كلمة الجماعة أوضح وأبين.»[١]

---

١) الميزان في تفسير القرآن: ج٩، ص٢٨٥.

خُلاصة المطلب

وخلاصة ما قد يُفهم من بيان العلاّمة هو أنّ هذا الإذن كان أولى، وبه تم عزل هؤلاء المنافقين، ومن خلاله تمت تصفية المجموعة.

وقد بيّن الله تعالى بعض مضار ترك هذه الغربلة ببيان رائع، إذ قال تعالى ﴿**لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِين**﴾ (التوبة ٤٧).

فبيّن انّ وجود هؤلاء لا يزيدكم الا خبالاً -الخبال هو النقص والهلاك اوالسم القاتل[١]- فأيّ تعبير رائع هذا الذي يَعُدّ وجود هؤلاء لا يزيدنا إلا نقصاً؛ إذ أنهم سيحاولون أنْ يلقوا الخلاف بين المؤمنين والتفتين بهم عبر القاء الإشاعات و تثبيط العزائم وغير ذلك من الأمور، والمشكلة الأكبر أنّ في المؤمنين من هو سمّاع لهم، أي كثير السّمع لهم -يبدو انّ السّمع هنا بمعنى التأثّر بالكلام -وكأن هناك من يتأثّر ويتزلزل بما يقول ويفعل هولاء؛ ولذا فإنّ وجودهم سيؤدي إلى اضرار وخيمة على أجواء المعركة.

وقد روي انّ امير المؤمنين عليه السلام قد كتب إلى بعض امراء جيشه:« **وَ اسْتَغْنِ بِمَنِ انْقَادَ مَعَكَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ فَإِنَّ الْمُتَكَارِهَ مَغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ وَ قُعُودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهُوضِهِ**[٢]»[٣] وفي كلام القرآن الناطق خير

---

١) المعجم الوسيط.

٢) جاء في بحار الانوار:" وتقاعس " : أبطأ وتأخر . و " المتكاره " من يظهر الكراهة ولا يطيع بقلبه .

٣) نهج البلاغة، ص ٣٦٦.

بيان، ومسك ختام .

الغربلة في النهضة الحسينيّة[١]

انّ دراسة عمليّة الغربلة في هذه النهضة المباركة، لها أثر كبير في معرفة الأبعاد المهمة لهذه العمليّة من جهة، ومعرفة مدى صلاح ونقاء الحشد الذي سعى الأمام عليه السلام الى بنائه وتكوينه من جهة أخرى.

تقسيم مراحل الغربلة:

يمكن تقسيم الغربلة في النهضة الحسينيّة إلى عدّة مراحل:

المرحلة الاولى

حوت هذه المرحلة على نوعين من الغربلة كان لهما التأثير المتعاضد في تكوينها وشمول أثرها .

النوع الأوّل: فرضته الأجواء الطبيعية السائدة و تتمثّل بوجود دلائل عامة ظاهرة للكثيرين تبيّن قلّة احتماليّة وجود الظفر المادّي البحت، ويشهد على ذلك اقوال الأعيان الذين تكلّموا مع الإمام الحسين عليه السلام؛ إذ توقعوا غدر اهل الكوفة به.

---

١) بعض الروايات أو الاحداث المنقولة ذكرناها بصيغة الوقوع، تناسباً مع سياق الكلام، فمثلاً بدل أنْ نقول: "روي انّه جمع الحسين عليه السلام أصحابه"، قلنا: " فجمع الحسين عليه السلام أصحابه"، وما ذلك الا تناسبا مع السياق، إذ لم نرَ من المناسب ذكر كلمة "روي" في بعض العبارات، وقد حاولنا الاشارة إلى مصادر جميع الاحداث والروايات التي ذكرناها، فمن اراد التحقّق فليراجع.

وهذه الرؤية على فرض انتشارها تمثّل غربلة عامة لكثير من الشرائح، حتى يكون اغلب الخارجين مع الإمام ذوي قابليات أخصّ من غيرهم؛ وذلك لأن معظم الباحثين عن الدنيا وزخرفها، أو الذين يخشون بطش سلطة يزيد، أو من هم غير مستعدّين للتضحية في سبيل الإمام عليه السلام، سوف لن يخرجوا معه ما داموا يعتقدون بالخسارة الماديّة له.

وممّن تكلّم مع الإمام الحسين عليه السلام بهذا الامر ابن عياش[1] و عمر بن عبد الرحمان[2] وعبدالله بن مطيع[3] والاوزاعي[4] ولأن اغلب هذه المحادثات متشابهة في المضمون نكتفي بنقل بعضها :

كلام عبدالله بن مطيع مع الإمام عليه السلام

روي انّ عبدالله بن مطيع قال له عليه السلام: «

- أين تريد أبا عبد الله، جعلني الله فداك؟

- اما في وقتي هذا أريد مكة، فإذا صرت إليها استخرت الله في أمري بعد ذلك.

- خار الله لك، يا ابن بنت رسول الله فيما قد عزمت عليه، اني أشير عليك بمشورة فاقبلها مني.

- ما هي؟

- إذا أتيت مكة فاحذر أن يغرك أهل الكوفة، فيها قُتِل أبوك،

---

١) ترجمة الإمام الحسين لابن عساكر: ص ٢٩٤.
٢) مقتل الحسين لأبي مخنف ص ٦٢-٦٣.
٣) حياة الإمام الحسين للقرشي: ج٢، ص٣٠٦.
٤) دلائل الإمامة، ص ١٨٤.

وأخوك طعنوه بطعنة كادت أنْ تاتي على نفسه، فالزم الحرم فإنك سيد العرب في دهرك " فوالله لئن هلكت ليهلكن أهل بيتك بهلاكك وشكره الإمام وودعه ودعا له بخير»[١].

كلام عمر بن عبد الرحمن مع الإمام عليه السلام

وعن « عمر بن عبد الرحمان ابن الحارث بن هشام المخزومي، قال: لما قدمت كتب أهل العراق إلى الحسين وتهيأ للمسير إلى العراق أتيته فدخلت عليه وهو بمكة، فحمدت الله وأثنيت عليه ثم قلت: أما بعد فاني أتيتك يا بن عم لحاجة أريد ذكرها لك نصيحة، فان كنت ترى أنك تستنصحني والا كففت عما أريد أنْ أقول، فقال: قل، فوالله ما أظنك بسيئ الرأي ولا هو القبيح من الامر والفعل، قال: قلت له: انّه قد بلغني أنك تريد المسير إلى العراق واني مشفق عليك من مسيرك، انّك تأتي بلدا فيه عماله وأمراءه ومعهم بيوت الأموال، وانما الناس عبيد لهذا الدرهم والدينار، ولا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره ومن أنت أحب إليه ممن يقاتلك معه، فقال الحسين: جزاك الله خيرا يا ابن عم، فقد والله علمت أنّك مشيت بنصح وتكلمت بعقل، ومهما يقض من أمر يكن أخذت برأيك أو تركته فإنت عندي أحمد مشير وأنصح ناصح، قال: فانصرفت من عنده فدخلت على الحارث بن خالد بن العاص بن هشام فسألني هل لقيت حسينا؟ فقلت له: نعم، قال: فما قال لك وما قلت له؟ قال، فقلت له: قلت كذا وكذا وقال كذا وكذا،

---

١) حياة الإمام الحسين القرشي: ج٢، ص٣٠٦.

فقال نصحته ورب المروة الشهباء أما ورب البنية انّ الرأي لما رأيته قبله أو تركه ...»[١]

النوع الثاني: تمثّل بما صدر عن الإمام عليه السلام من كلمات عبر خطبه أو رسائله؛ إذ إنّ فيها مضامين كان لها الأثر المباشر في الغربلة.

كتابه عليه السلام الى بني هاشم

فقد روي انّه كتب إلى بني هاشم« بسم الله الرحمن الرحيم . . من الحسين بن علي إلى بنى هاشم . أما بعد فإنّه من لحق بي منكم استشهد ومن تخلف عنى لم يبلغ الفتح والسلام»[٢]

نعيه عليه السلام لنفسه

كما روي انّه لما عزم على الخروج إلى العراق قام خطيباً، فقال: « الحمد لله ما شاء الله ولا قوة إلا بالله وصلى الله على جيد الفتاة وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فيملأن منى أكراشا جوفا، وأجربة سغبا لا محيص عن يوم خط بالقلم رضى الله رضانا أهل البيت نصير على بلائه ويوفينا أجر الصابرين لن تشذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحمته وهي مجموعة له في حظيرة القدس تقربهم عينه وينجز بهم وعده من كان باذلا فينا مهجته وموطنا على

---

١) مقتل الحسين لأبي مخنف: ص٦٢-٦٣.

٢) اللهوف في قتلى الطفوف: ص٤١.

لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإنني راحل مصبحا إنشاء الله تعالى »[١].

وأين تكمُن الغربلة؟

ان ما يؤدّي إلى الغربلة في هذه الكلمات عدّة امور، منها:

١- ذكر الامام عليه السلام لما ستؤول اليه الأمور، كما في كلمته لبني هاشم: « من لحق بي منكم استشهد»، أو قوله :« وخير لي مصرع أنا لاقيه كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فيملأن منى أكراشا جوفا، وأجربة سغبا لا محيص عن يوم خط بالقلم».

ان هذا الكلام عزّزالرؤية السلبية حول مصير النهضة بشكلٍ قد لا يدعُ مجالاً للشكّ عند من كان يحتملها، وأوجدها عند من كان جاهلاً بها ظاناً بغيرها، فإذا كان بعض الناس يشكّكون في ما مضى بتلك الرؤية السلبية التي تتوقع غدر عامة اهل الكوفة، ومقتل الامام عليه السلام، فلا مجال للشك بعد أنْ صرّح الامام عليه السلام بذلك تصريح العارف الخبير الموقن بالمصير.

٢- تحديد الإمام عليه السلام لخصائص الفئة التي يرغب أو يقبل أنْ تخرج معه، بقوله : « من كان باذلاً فينا مُهجته، وموطّناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا»، وكأن توافر هذه الخصائص هو شرط للقبول .

وقد يكون هذا الشرط هو غربلة شبيهة من حيث النوع بقول طالوت عليه السلام الذي حكاه القرآن عنه **﴿إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً**

١) اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٣٨.

بِيَدِهِ﴾(البقرة ٢٤٩)

مع وجود فارق في المضمون، فأين شرط عدم شرب الماء من شرط بذل المهجة !

الأحداث التي سبقت المرحلة الثانية:

خرج الامام الحسين من مكّة مصحوباً بعدد غير كبير من الانصار؛ حيث كان لغربلة المرحلة الاولى أثر في ذلك.

ويبدو انّ عدد الملتحقين بالركب بدأ بالزيادة اثناء السير والمرور بمنازل الطريق المؤدّي إلى العراق؛ إذ روى ابو مخنف أنّ الحسين عليه السلام كان لا يمر باهل ماء الا اتبعوه [1]، ولكنّ هذه الزيادة كانت كميّة لا نوعيّة مع انّ ما روي يدلّ على انّ الامام عليه السلام كان يكرر الاشارة والايحاء إلى المصير المتوقّع، الا إنّ ذلك لم يكن له تأثير كبير في الفرز حتى جاءت المرحلة الثانية من الغربلة.

١) مقتل الحسين لأبي مخنف: ص ٧٨.

المرحلة الثانية

تمثّلت هذه المرحلة المفصلية بوصول خبر شهادة سفير الامام مسلم بن عقيل وناصره هانئ بن عروة و رسول الامام واخيه من الرضاعة عبدالله بن يقطر على ما نُقل.

خبر شهادة مسلم وعبدالله رضي الله عنهما

إذ «روى عبد الله بن سليمان والمنذر بن المشمعل الأسديان قالا: لما قضينا حجنا لم تكن لنا همة إلا اللحاق بالحسين عليه السلام في الطريق، لننظر ما يكون من أمره، فأقبلنا ترقل بنا نياقنا مسرعين حتى لحقنا بزرود، فلما دنونا منه إذا نحن برجل من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين عليه السلام، فوقف الحسين كأنه يريده ثم تركه ومضى، ومضينا نحوه، فقال أحدنا لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا لنسأله فإن عنده خبر الكوفة، فمضينا حتى انتهينا إليه فقلنا: السلام عليك، فقال:

وعليكم السلام، قلنا: ممن الرجل؟ قال: أسدي، قلت: ونحن أسديان، فمن أنت؟ قال: أنا بكر بن فلان، وانتسبنا له ثم قلنا له: أخبرنا عن الناس وراءك، قال: نعم، لم أخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة، ورأيتهما يجران بأرجلهما في السوق.

فأقبلنا حتى لحقنا الحسين صلوات الله عليه فسايرناه حتى نزل الثعلبية ممسيا، فجئناه حين نزل فسلمنا عليه فرد علينا السلام، فقلنا له: رحمك الله، إنّ عندنا خبرا إنْ شئت حدثناك علانية، وإن شئت سرا، فنظر إلينا وإلى أصحابه ثم قال: ما دون هؤلاء ستر " فقلنا له:

رأيت الراكب الذي استقبلته عشي أمس؟ قال: "نعم، وقد أردت مسألته" فقلنا: قد والله استبرأنا لك خبره، وكفيناك مسألته، وهو امرؤ منا ذو رأي وصدق وعقل، وإنه حدثنا أنه لم يخرج من الكوفة حتى قتل مسلم وهانئ، ورآهما يجران في السوق بأرجلهما: فقال: " إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمة الله عليهما "

يكرر ذلك مراراً، فقلنا له: ننشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلا انصرفت من مكانك هذا، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل نتخوف أن يكونوا عليك. فنظر إلى بني عقيل فقال: " ما ترون؟ فقد قتل مسلم " فقالوا: والله لا نرجع حتى نصيب ثأرنا أو نذوق ما ذاق، فأقبل علينا الحسين ﵇ وقال: " لا خير في العيش بعد هؤلاء " فعلمنا أنه قد عزم رأيه على المسير، فقلنا له: خار الله لك، فقال: (رحمكما الله). فقال له أصحابه: إنك والله ما أنت مثل مسلم ابن عقيل، ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع. فسكت ثم انتظر حتى إذا كان السحر قال لفتيانه وغلمانه: " أكثروا من الماء " فاستقوا وأكثروا ثم ارتحلوا.

فسار حتى انتهى إلى زبالة فأتاه خبر عبد الله بن يقطر.

أتانا خبرٌ فضيع

فأخرج إلى الناس كتابا فقرأه عليهم : «بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد: فإنه قد أتانا خبر فظيع، قُتل مسلم بن عقيل، وهانئ بن عروة، وعبد الله بن يقطر، وقد خذلنا شيعتنا، فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف غير حرج، ليس عليه ذمام"

فتفرّق الناس عنه وأخذوا يمينا وشمالا، حتى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه من المدينة، ونفر يسير ممن انضووا إليه»[١]

مكامن الغربلة

ولقد شكَّلت هذه المرحلة غربلة على مستوى الحدث، وعلى مستوى الآلية.

فأما على مستوى الحدث: فقد شَكّل هذا الحدث بدء الظهور الواقعي لما ذكره الإمام عليه السلام في خطبة مكة، فربّما كان البعض يرى من الناحية الواقعية انّ مسيرة الاحداث تميل في كفة الإمام الحسين عليه السلام ولا يستيقن بالحقيقّة التي اخبرهم بها الإمام عليه السلام، بل لعلّ بعض ممن التحق اثناء الطريق لم يكن يعلم شيئا عن تلك الخطبة، فجاء اثناء مسير الركب خبر مقتل سفير الإمام الحسين مسلم بن عقيل وناصره هانئ بن عروة ليضفِ شواهد واقعية لما يذكره الإمام عليه السلام. وليبيّن جرأة القوم القاتلين من جهة، وقلة أو انعدام الناصرين من جهة أخرى، مما يؤيد عدم وجود حرمة لهذا الركب السائروعدم وجود ناصرين.

وأما على مستوى الآلية: فقد كانت هذه المرحلة اشبه بالإرخاء بعد الصدمة الضاغطة؛ ففي خضم مرارة وصدمة هذه الأحداث التي تتزلزل فيها الكثير من النفوس ويتشخّص امام أعيُنها بأنهم سائرون إلى الموت ومرارته تاركون كل المتعلقات، جاء اعلان سيد الشهداء عليه السلام بالإذن للانصراف لمن يريد أنْ ينصرف، بلا حرج أو ملامة، فربما لو

---

١) الارشاد، الشيخ المفيد: ج٢، ص٧٣ -٧٦.

كان هذا الإعلان في وقت آخر تكون فيه النفوس اكثر إستقراراً لما كان له هذا الأثر، ولكن الإمام أعطى الإذن مباشرة بعد مجيئ هذه الأخبار المفجعة.

ولا يخفى أنّ في مثل هكذا حالات فإنَّ بعض القادة العسكرين يخفون عن أتباعهم مثل هكذا حقائق؛ حرصا على إبقاء الكم والجو المعنوي المناسب، ولكن أي كم خاوٍ؟! وأي جو زائف ؟! هذا الذي يبقى[١].

الفئات التي يمكن أنْ تُفرز بهذه الغربلة:

كانت المرحلة الثانية من اكثر المراحل غربلة وفرزا، حيث انسحب فيها اكثر من ثلثي المرافقين للركب -اكثر من اربعمائة شخص- بحسب ما يبدوا من اراء بعض الباحثين[٢]. و بسبب خصوصية تأثير هذه المرحلة من حيث نسبة الفرز، افردنا لها هذا الموضوع الذي يحاول تشخيص الفئات التي يحتمل انسحابها.

الفئة الاولى: الذين التحقوا بالإمام الحسين عليه السلام ظناً منهم انّه سينال الحكم .

ولكن من اين لنا أنْ نحتمل وجود فئة كهذه مع انّ الإمام عليه السلام قد بيّن في خطبة مكّة ما ستؤول اليه الامور -"كأني بأوصالي تقطعها عسلان

١) ومع هذا فتختلف التطبيقات بإختلاف الموارد ولا نعني بأن الاخبار بجميع الأموروفي جميع الظروف مستحسن دائماً!.

٢) انصار الحسين: ص٤٤.

الفلوات بين النواويس وكربلاء"-، فكيف اجتاز هؤلاء تلك الغربلة؟

والجواب على ذلك هو:

أوّلا: لعل بعض الملتحقين كانوا يعتقدون انّ كلام الإمام عليه السلام كان في مقام الغربلة، وليس له حقيقّة على ارض الواقع، وأن الامام كان يريد أنْ يعرف صفوة الأصحاب المستعدّين للتضحية في سبيله، كي يوليهم امور الحكم بعد ذلك!

ومثل هكذا اشخاص قد يكونوا مستعدين لمرافقة الامام حتى يتبين لهم الواقع، ولعل بعضهم لا يتورع عن أي خيار عندما يتبين له الواقع، حتى لو كان ذلك الخيار هو التخلّي عن الحسين عليه السلام والانقلاب عليه قبيل بدء المعركة، فيما إذا كانت هناك معركة!

﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيما﴾(النساء ٧٢ - ٧٣)

ثانيا: لعل بعض الملتحقين ممّن التحقوا اثناء المسير لم يتسنى لهم معرفة مضامين تلك الخطبة، وبالتالي فإن تأثير غربلة المرحلة الاولى لم يشملهم.

الفئة الثانية: الذين التحقوا بالإمام حباً له ونصرة له، ولكنهم ليسوا بالمستوى الذي يتحمل الثبات عند الزلزلة، فما إنْ تزلزلوا بهذه الاخبار من جهة، واحل لهم الامام الانصراف من جهة اخرى، اختاروا

الانصراف على البقاء.

الفئة الثالثة: الذين التحقوا اثناء المسير دون أنْ يمروا بمرحلة الغربلة الاولى، وهؤلاء أعم -من حيث الدافع- من الذين ذكرناهم في الجواب على إشكال الفئة الاولى .

الأحداث التي سبقت المرحلة الثالثة:

واصل الامام عليه السلام الطريق مستمراً على الاستنصار[١]، وكانت المواقف من دعوته متباينة، فقد تخلف البعض عن هذه الدعوة من امثال عبيد الله بن الحر الجعفي، والبعض وعد بالاستجابة غير الآنية من امثال الطرماح بن عدي، وكان للبعض استجابة جزئية، كالضحّاك المشرقي.

على انّ الذين تعرّضوا لهذا الإستنصار يكادون لا يتعدّون هؤلاء المذكورين.

---

١) سيأتي بيان اهمية مداومة الاستنصار والغربلة في موضوع لاحق.

المرحلة الثالثة

بعد أنْ حطّت ركاب الحسين عليه السلام في كربلاء، إنطلق عمر بن سعد عليه اللعنة بجيشة في عصر تاسوعاء عارضاً على معسكر الإمام الحسين عليه السلام النزول إلى حكم عبيدالله أو المناجزة، فأخّرهم العباس عليه السلام إلى يوم العاشر، فأجابوه بأنا قد أجّلناكم إلى غد، فإن استسلمتم سرّحناكم إلى أميرنا عبيد الله بن زياد، وإن أبيتم فلسنا تاركيكم.

فجمع الحسين عليه السلام أصحابه عند قرب المساء[١]، وقال«أثني على الله أحسن الثناء، وأحمده على السرّاء والضرّاء، اللّهم إني أحمدك على أنّ أكرمتنا بالنبوة وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعا وأبصارا وأفئدة، فاجعلنا من الشاكرين.

أما بعد: فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني خيراً، ألا وإني لأظن أنه آخريوم لنا من هؤلاء، ألا وإنّي قد أذنت لكم فانطلقوا جميعا في حل ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل قدغشيكم فاتخذوه جملا»[٢].

وفي رواية أُخرى يوجد هذا المقطع « وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي وتفرّقوا في سواد هذا الليل وذروني، وهؤلاء القوم فإنهم لا يريدون غيري»[٣].

---

١) مقاطع من الارشاد: ج٢ ص٩١ مع بعض التصرف.

٢) المصدر السابق.

٣) اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٥٥.

مكامن غربلة المرحلة الثالثة

وكما في غربلة المرحلة الثانية فإن هذه المرحلة ايضاً تتميّز بنوع الحدث ونوع الآليّة.

اما بالنسبة للحدث: فكأن علم اليقين صار حق اليقين، ولا يفصل عن القتال الذي أيسره أنْ تسقط فيه الرؤوس وتطيح الأيدي الا سويعات؛ لذا فإن هذه السويعات يكون لها تأثير مختلف عمّا مضى، ومن شواهد اختلاف تأثير هذه الساعات انّ العقيلة بدا منها ما لم يكن فيما مضى ،إذ قالت لابي عبد الله عليه السلام :«وا ثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت أمي فاطمة وأبي علي وأخي الحسن، يا خليفة الماضي وثمال الباقي. فنظر إليها الحسين عليه السلام فقال لها: يا أخية لا يذهبن حلمك الشيطان، وترقرقت عيناه بالدموع وقال: لو ترك القطا لنام ... وخرت مغشيا عليها»[(١)][٢].

وأما على مستوى الآلية : فقد بدء الامام عليه السلام كلامه بالثناء العظيم على أصحابه واهل بيته، وفي ذلك تهيئة نفسية لهم قد تزيل الشعور بالتقصير وتشعرهم بالرضا والاكتفاء بما قدّموا، وكأنهم أدّوا ما عليهم. ثم إنّ استخدام سيد الشهداء عليه السلام لصيغة الأمر في التعبير عن الترخيص يهيئ

---

١) الإرشاد: ج٢، ص٩٣ – ٩٤ .

٢) ولا نقصد من ذكر هذا الشاهد شمول الغربلة لهذه السيدة الجليلة، وانّما نريد أنْ نُبيّن كيف يؤثر قرب المعركة على عامة الموجودين مع اختلاف الدافع من تأثرهم، فمن هو كالسيدة زينب رضوان الله عليها قد يتأثر لخشيته على الامام عليه السلام، ومنهم قد يتأثر لخشيته على نفسه أو غير ذلك.

ارضية اكبر لمن لديه رغبة في الانسحاب .

ومن جهة أخرى -بعيدا عن الغربلة- فإن هذا الايثار الذي يصدر من القائد في اشد الظروف بحيث يأذن لأتباعه بتركه ويحثهم على ذلك في سبيل نجاتهم دونه، انّ هذا الايثار يعمق الاخلاص والحب و الفداء له في قلوب الاحرار والمخلصين منهم.

ردود أفعال الأتباع على الامام الحسين عليه السلام:

«فقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه وابنا عبد الله بن جعفر: لم نفعل ذلك؟! لنبقى بعدك؟! لا أرانا الله ذلك أبدا. بدأهم بهذا القول العباس بن علي رضوان الله عليه واتبعته الجماعة عليه فتكلموا بمثله ونحوه.

فقال الحسين عليه السلام: يا بني عقيل، حسبكم من القتل بمسلم، فاذهبوا أنتم فقد أذنت لكم. قالوا: سبحان الله، فما يقول الناس؟! يقولون إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا - خير الأعمام - ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف، ولا ندري ما صنعوا، لا والله ما نفعل ذلك، ولكن تفديك أنفسنا وأموالنا وأهلونا، ونقاتل معك حتى نرد موردك، فقبح الله العيش بعدك.

وقام إليه مسلم بن عوسجة فقال: أنخلي عنك ولما نعذر إلى الله سبحانه في أداء حقك؟! أما والله حتى أطعن في صدورهم برمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة، والله لا نخليك حتى يعلم الله أن قد حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله فيك، والله لو علمت أني أقتل ثم أحيا ثم أحرق ثم

أحيا ثم أذرى، يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبدا.

وقام زهير بن القين البجلي - رحمة الله عليه - فقال: والله لوددت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل هكذا ألف مرة، وأن الله تعالى يدفع بذلك القتل عن نفسك، وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك.

وتكلم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضا في وجه واحد، فجزاهم الحسين عليه السلام خيرا وانصرف إلى مضربه»[١].

فأيّ نفوس هذه التي بقيت وخرجت من كل هذه الابتلاءات وأبت مفارقة الإمام الحسين عليه السلام ؟، وأي لوحة للعبودية والمُثل الإلهية رسمت بمثل هؤلاء؟، وأي انتصار للقيم الحقَّة حُقِق بهم؟، فهنيئا لكم هذا الثواب العظيم الذي أعطاكم اياه الله سبحانه وتعالى.

نوع الغربلة

سنقسّم الغربلة الى عدّة أنواع[٢]، نسبة إلى دور القائد، ثُمّ بناء على ذلك سنحاول تحديد نوع الغربلة في كل مرحلة من المراحل الثلاثة السابقة.

الغربلة الطبيعية: وهي التي لا يكون للقائد دور في ايجادها، وتنتج من العوامل والمؤثرات الموجودة على ارض الواقع، سواء كانت

١) الإرشاد: ج٢، ص٩١ - ٩٣.

٢) هناك تقسيمات بلحاظات أُخر، قد أشرنا لبعضها سابقا.

اجتماعية أو اقتصادية أو سياسياً أو غير ذلك .

الغربلة الارادية :وهي التي توجد من قبل القائد، أي يكون له دور وارادة في ايجادها.

ثم انّ الغربلة الارادية تنقسم إلى قسمين:

الغربلة الارادية الظاهرة: وهي الغربلة الارادية التي يتضح انّ للقائد ارادة أو دور في ايجادها.

الغربلة الارادية المضمرة: وهي الغربلة الارادية التي لا يبدو فيها وجود ارادة أو دور للقائد، بحيث قد تبدو كالغربلة الطبيعية، ويبدو فيها القائد مغلوبا على امره.

تحديد أنواع الغربلة في المراحل السابقة

ويمكن القول انّ كلاً من هذه الانواع الاربعة كان له أثر في الاحداث التي ذكرناها؛ فإن ما ذكرناه في غربلة المرحلة الاولى ضمن القسم الأوَّل من وجود دلائل عامة تشير إلى احتمالية كبيرة لاستشهاد الامام عليه السلام كان يمثل غربلة طبيعية، كما انّ حادثة مقتل مسلم وهاني وعبدالله التي كانت في المرحلة الثانية قد تؤدي إلى غربلة طبيعية فيما لو انتشر خبرها بين الانصار والأصحاب، ولعل بعض احداث المرحلة الثالثة تعتبر من الغربلة الطبيعية ايضا.

اما خطبة الامام عليه السلام التي ذكرناها في المرحلة الاولى ضمن القسم الثاني، فهي تمثّل غربلة ارادية، و قول الإمام عليه السلام « من كان باذلا فينا مهجته وموطنا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا» صريح بطلب نوع

خاص دون غيره، وهو غربلة ارادية ظاهرة، وقد اشرنا سابقا إلى أنها شبيهة من حيث النوع بقول طالوت عليه السلام ﴿**إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ**﴾(البقرة ٢٤٩)

وأما الكتاب الذي صدر في المرحلة الثانية وما يحتويه من إذن في الانصراف فإنه يمثل غربلة إرادية مضمرة، ويدل على ذلك مواصلة الامام عليه السلام للاستنصار حتى بعد هذه الحادثة، إذ لو كان الإذن بالانصراف -بعد ذكر الخبر الفظيع- بسبب كون الامام عليه السلام لا يرغب بأي ناصر، لما كان هناك داعٍ من تلك المواصلة. وقد جاء في مقتل ابي مخنف بعد ما تعرض لهذا الكتاب ما يؤيد ذلك، إذ قال: «وانما فعل ذلك لأنه ظن انما اتبعه الاعراب لانهم ظنوا انّه يأتي بلدا قد استقامت له طاعة أهله فكره أنْ يسيروا معه الا وهم يعلمون علام يقدمون»(١) وبالنسبة لخطبة الامام عليه السلام التي ذكرناها ضمن المرحلة الثالثة فنحتمل انّها غربلة ارادية مضمرة.

---

١) مقتل الحسين لأبي مخنف: ص٧٩ .

ثنائية الاستقطاب والغربلة

في الوقت الذي نرى انّ الإمام الحسين عليه السلام كان يعمل على الاستقطاب والاستنصار ويحث على الخروج معه، في نفس الوقت نرى انّ في مواقف سيد الشهداء ما يؤدي إلى ابتعاد الكثيرين عن نصرته ونفورهم عنها.

فمثال الحالة الاولى: كلمات و خطب سيد الشهداء عليه السلام العامة الحاثة على نصرته والخروج معه للإصلاح، وكذلك حالات استنصاره بعض الافراد كزهير بن القين والضحاك المشرقي وعبيد الله بن الحر الجعفي وغيرهم.

ومثال الحالة الثانية: ما مر من كلمات وخطب ومواقف الامام عليه السلام التي ادت إلى عزوف الكثيرين عن الخروج معه، و تفرق الكثير ممن اتبعه .

ولا يقال انّ احدى هاتين الحالتين كانت خاصة بفترة معينه ثم ادى تغير الاحداث إلى الانتقال إلى الحالة الاخرى، فإن تتبع الاحداث يثبت غير ذلك، حتى انّ بعض الخطب قد احتوت على الحالتين معا .

رفع توهّم

وقد يبدو انّ هاتين الحالتين متضادتان في التأثير، حيث انّ إحداهما جاذبة للأفراد والاخرى دافعة ومسببة لنفورهم. ولكن التأمل فيهما يظهر انّ كلا الحالتان تعملان على ايجاد الافراد، الا إنّ الاولى توجد الكم والثانية توجد النوع، فالغربلة ليست غاية في حد ذاتها بل هي

وسيلة لإيجاد النوع من خلال الكم.

وهذا الامر من الواضحات في القرآن الكريم، فعلى مستوى الجهاد يحث القرآن الكريم على الجهاد في سبيل الله تعالى ويوفر أجواء الهداية في سبيل ذلك،و في الوقت نفسه نراه يضع الابتلاءات التي قد تسبب عزوف الكثيرين عن ذلك الجهاد، كما في قصة طالوت﴿ **فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ**﴾(البقرة ٢٤٩)

مثال معاصر

وفي هذه الايام ايضاً، نلاحظ انّ المؤسسات الكفيلة بالتعليم تعمل على التشجيع على دخول مدارسها وتبذل الكثير من الجهود في سبيل استقطاب اكبر نسبة ممكنة من التلامذة، الا انّها في الوقت نفسه تضع الاختبارات التي تغربل بها الجمع في سبيل الحصول على النوع المطلوب وان كان ذلك على حساب خروج أو نفور الكثير من الافراد الذين بذلت جهدا في استقطابهم سابقا.

فالاستقطاب والغربلة حالتان تكامليتان تشكلان مقدمة ضرورية لإيجاد النوع.

وهناك امثلة أُخر تتعلق بسنن الله في هذا الكون لكن لا يناسب المقام ذكرها .

عودٌ على بدء

قلنا سابقاً انّ الظفر بالمنظور الإسلاميّ يختلف كثيراً عن الظفر في غيره، ومن هنا فلا يتبادر إلى الذهن انّ الهدف من الفرز والغربلة محصور في الدخول إلى المعركة بأفراد اقوياء قادرين على تحقيق الغلبة بالمعنى المادي دون أنْ يتزلزلوا، بل كما قلنا سابقا انّ لتلك الغربلة اهدافاً اوسع من ذلك لعل من اهمها تحقيق المبادئ الحقَّة الإلهية في أجواء المعركة سواء تحققت الغلبة بالمفهوم المادي ام لم تتحقق، لان وجود اشخاص منافقين أو غير مؤهلين لتطبيق تلك المبادئ قد يؤدي إلى حدوث افعال غير مقبولة شرعا[١] من قبل هؤلاء تنعكس تأثيراتها على الجمع أو الحشد المؤمن بل وعلى القيادة المؤمنة .

ومن ذلك قد يفهم سبب حرص الإمام الحسين ﴿عليه السلام﴾ على غربلة الافراد مع علمه بكون المعركة لن تحسم بالغلبة بالمنظور المادي في كلِّ الاحوال، فلعل ذلك من أجل يحقق الإمام الحسين ﴿عليه السلام﴾ بهذه الثلة المخلصة المبادئ الحقَّة والمُثل العليا في أجواء المعركة دون أنْ يصدر من أصحاب الإمام ﴿عليه السلام﴾ ما يخالف المبادئ الحقَّة أو ما يخالف ارادته سلام الله عليه، ومن ثمّ يؤثر على النهضة الحسينية سلباً، ويبدو انّ هذا الامر كان له اثر بالغ في انتصار النهضة الحسينية وفي خلودها.

---

١) ولو من أجل تحقيق الغلبة الماديّة.